

تتساءل:

كم مرّة أصلي هذا الفحم..؟!

أحياناً

تكفي قبّرة واحدة لتسمع:

ماذا

يقول الزئبق للزئبق

أحياناً

هل نحرق ذهبنا العتيق كحبات قهوة

وعلى إيقاعات رعوية

نرشف عصير النحاس...؟!

هل نلقي بمآقينا في محابر نحيلة!!

هل على نافذة غرناطة نُصلب

لنتهجي بانوراما الملح الأسود:

لوحة رماد..؟!

أحياناً

كم لوعة يحتاج القلب ليستحيل ذئباً

ليلاً بنياً

قمرأ يغفو على أهداب نسيم حنون

نامي إذأ

نامي ياقطعة من مريولة الضوء نامي

أية تغريبة أهدهد...؟

أي حليب أرضعك...؟

أية ترنيمة أحيك...؟

نامي

لأعود أطرز أنفاس المرأة

ضباباً وبخوراً

لمن أرمم المنفى..؟

أحمد يعقوب*

الزمان: الخريف / الشتات

1988-1986

الإهداء: إلى «ميلاد»

أخي الأصغر

في الذكرى العشرين لغياب لقاءاتنا

لست يوسف

لستم اخوتي

أنا شهيد المرايا ...

I

أحياناً

أهات الماس تنقلت من المناجم

أمام المرايا

يئن كوارتز البحر

أحياناً

اللقالق تمسح دموع الريح

قبلما وبعدما ينفج الكور

أحياناً

النار

أحياناً	نامي
كأس النبيذ الخاوي	لأواصل بحثي
يرافحُ	
ضد الكروم	من يدعو أولي العيون التي تشاكس البريق ..؟
ثغرُ ضوء يشكو حقول	ذوي أطيايف معجونة بأجنحة فراشات
التبغ	من يدعو أولي أحشاء جُذلت أوتاراً ...؟
أحياناً	كاظم الجمر المتوحد مع مصباحه ...!!
تتساءل:	
أين أمضي ...؟	أحياناً
	المدن من ألواح التوابيت
أحضري إيقاعاً ثقيلاً	أحياناً
أقداحاً التأمّت بلوراتها	هي من التوت البري
على زفرات الماس	أحياناً
أحضري	النهر يعبّ كل الفاليوم
لبناً تحجّر مذ غادرتنا	بين صفتي رماد كهرماني
مدن القدور التي تغلي	وبعدما يبكي
أيتها الأفراح المخضلة بالآه	يشيد اللقلق عشّه
هذا حساؤنا القرمزي	ويبكي
حساء الفصول الخاوية	في محبرة شاعرٍ
إلاً من كافور	يحرص المدينة بسرّه الوحيد
وفيلة ماموث	
أحياناً	أحياناً
الظلّ ركأمٌ أجعد	وردة في تابوتٍ شاسع
مقابر عارية هي الروح	ذراعٌ للريح
أحياناً	فمٌ لشريعة الرصيف
على الأظفار ينبت الأجاج	ترنيمة حامضة
أحياناً	تراتيلٌ انسحاب الظلّ
الأحداق حقول لإخصاب الرز	اهترء مندبل

أثني البنفسج يردد
رذاذ الأصداى الأولى
قطارنا يعود إلى متحف الآثار
والأسفار ...
لماذا...؟!
كَلِّمًا حَدَقَّتْ فِي قَهَقَهَاتِ اللَّيْلِ
تَجَلَّتْ فَرَاشَةٌ مِنْ وَهْجِ سَوْسَنِ
خَرِيفٌ لَزَجٌ
عَاصِفَةٌ كَافُورٌ
تَسْأَلُ:
مَتَى كَانَتْ
الْأَنْبِيَاءُ الْمُبْرَقِعُونَ يَكْشِطُونَ مَرَايَاهُمْ
كُلَ الْأَطْيَافِ فِي اللَّيْلِ
فَأَرَانِ سَوْدَ تَقْرُضِ صَنْدُوقًا قَدِيمًا
كَلًّا أَوْ أَحْجَارًا...؟
قَطَطٌ تَأْكُلُ آبَاءَهَا
وَأُمِّي

تشدّ على مفتاح البلاد

II

اللِّسَانُ الْمُخْضَلُّ بِالْجَمْرِ
قِطْعَةُ الْكَرْبُونِ الَّتِي تَعْظُ بِهَا الصَّبَاحَاتُ الْقَرْمِزِيَّةُ
خَرِيفٌ لَزَجٌ
اللِّسَانُ الْمُخْضَبُ بِأَهَاتِ خُضْرَاءِ
وَأَنْتِ فِتْنَاتِي:
إِبْرَةُ الْمَاسِ الْخَلَاسِيَّةِ الَّتِي تَرْتَقُ دُمُوعَ الْمَسَاءِ
كَيْفَ تَجْرِيْنَ خِصَلَاتِ شَعْرِكَ...؟!
اللِّسَانُ الْمُنْفَلْتُ مِثْلَ نَابِضِ كَنْيْزِكَ عِنْدِ
وَحِيدَةٍ فِي السَّاحَةِ
لِسَانِكَ
بَيْنَ الْغُرْبَانِ وَزَنْجَرَةِ نَحَاسٍ!!
سَيَقْطَعُهُ الرِّصِيفُ مَلِيونَ سَانِدُوتِشَ
كَيْفَ تَفْتَشِينَ عَنِ
الْغَدَاءِ الْحَارِّ: فِي نَعَشٍ مِنْ رَمَادِ
فَطْرِ
غَبَارٌ تَلْفَهُ وَجِبَةٌ ثَقِيلَةٌ
وَفَرَاشَاتٌ...؟!
أَيُّ جَمْرٍ أَنْجَبَ أُمِّكَ...؟!
خَاتَمُ سَلِيمَانَ فِي فَمِ الْغُرَابِ الشَّائِخِ كَانَ
مَنْ رَأَى رَجَالًا «تَلْد» مِنَ الْأَفْوَاهِ...؟!
الطَّلَاسِمُ حِذَاءُ صِينِيٍّ فَوْقَ الرُّؤُوسِ
مَنْ رَأَى كَلَابًا تَبُولُ مِنْ رِبَطَاتِ الْأَعْنَاقِ...؟!
حَافِيَّةٌ أُمُّهَا
إِلْقِ بِالْتَفَاحَةِ يَا نِيوتنَ
بَانْتِ قَرْنَفَلَةٌ مِنْ رِخَامِ
عَلِكِ تَهْوِي
-: يَا ابْنَةَ الْأَسِّ
مَنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى
كَفَكْفِي دُمُوعًا مِنْ لَيْمُونِ
مَآذَا يَرَادُ مِنْ أَحْدَاقِنَا...!
خَلْفَ الرِّيحِ
فَحْمٌ حَجْرِيٌّ اسْتَنْفَدَ أَلْفَ مَرَّةٍ
خِيُولُ شَعْرَهَا أَعْمَدَةٌ مِنْ دِخَانِ

-: أمي

من ذا الذي سيراقتني ..؟!

حريقٌ في النهدي أمي

من يردم نبع الكافور ...؟!

من يفجر المكنون من شبق

الماس

من ألق الحبق ..؟!

هدهدت: للريح

هزيت مليون نخلة

بالعقيق دثرت قتلاي

دخلت أدغال حسرة

في الطريق ورّعت نهدي

أرضعت مليون جمرة

نثرت شعري أعشاشاً للفواخت

من يدلني على ساحات

يملؤها مليون وليد من دخان

على رياح تنقلت من أمعاء صدئة ..!!

على برق ينبعث من أفواه متكلسة ..!!

على خيول تؤدي رقصاً عجرياً على

ضفاف البحر ..!!

أمي: من يراقص هديل الزغاليل ..؟!

من يسحب ظلي من اغترابي ..؟!

من يخرج البلاد من جيوبي النخيلة ..؟!

أمي: من علمك المشي على

شظايا الزجاج ..

III

فراشة من تعب وغبار أنا .. وأنت

خمائل الضوء والبنفسج

كلما رسمت على الرصيف عينيك

لا أدري

كم وسادة من قطن عذري أعانق

فصول خاوية إلا من غبار وكافور

ولفتاتي:

شكل البحر، طعم الندى، وشعر من رياح

عينها

آهات عجزية تسرقان الروح إلى

رقصة في فضاء

شفاتها

جدولا نبيد تعتقت ما بين الجروح

وقهقهات العنب

كم من عاج احتيج

لتكون أسنانها ضفتي ثلج وأسرار ...؟!

لفتاتي هديل، صهيل مطهم

يعلن: اقتحام الشتات

ينتزع من مملكة الرمادة:

ربيعاً لشباب العشق

لم لا تنفض الأرصفة عني ...!!

لم لا يطلقني هذا الغبار ..!!

أبق فتاتي على صدر الحلم الشاسع

زهرة غاردينيا.

وأنا أنسج لوناً تامناً لقرح ...

IV

روحي لقلقٍ من جمر
 المرايا نبتت في حديقة البحر
 الآهات ضوءاً قرمزي
 يحفرُ بئراً في الهواء
 المقابرُ يشرئبُ بنفسجها
 عرشهُ يبابٌ منفي
 إلى
 منفي يبابٍ يمتدُّ
 قف .. قف ..
 ما أكثر المزابيل
 كالديكة المزر كشة
 كملوك
 كعارض أحذية...!!
 أواه
 يا قلباً من خشب المراكب
 كيف أكون ضوءاً في اشتعال
 وطني
 في أيقونة ناسكٍ صعلوك
 سأحجر عليك
 في ملف المجرمين
 قضيةٌ سأرفعك
 مع كل الحنظل أشربك
 مع رمان القلق
 وفي ألقٍ أشربك
 وأشكوك
 لفقمة
 قبلما أنوب
 ملحاً ناعماً في
 حساء بارود

الأشياء تغلي
 تغلي حتى الرياح
 في الكهوف
 أشعل ما تبقى
 من ثقابٍ عندي
 وأبحث عني
 في ظهيرة تموز
 فتاتي:
 كيف تريدني أن أكون
 عود ثقاب...!!
 واضطجع مع
 الآخرين في علبة كبريت...!!
 نحو الظلّ السقيم يرحلون
 قصبٍ سكرٍ بعد حصاد
 عبّوا: عسيسة الليالي
 عبّوا: نحيب بحر
 عبّوا: قديسين ما رقين
 ضجيج حانات
 دموع نرجسٍ متسكحٍ
 عبّوا: خواء خيولٍ شريدة
 ورحلوا..
 من يلتقف الأرواح المضمخة
 بزخات الكهرباء!!
 ببخار الأسيد!!
 رحلوا..
 أبكي من يبني أفقاً من ورق
 على إيقاع أقدامٍ من حديد

في جحوظها تشير للقتلة
كل ليلة
أعضّ الدمع الأسود
عارفاً مثل «نوح»
أطلق لقالقاً من حبرٍ وأوراق

عندما يأتي الصباح ناعماً
كحبة مشمش
سأرتدي: ثياباً بيضاً
جوارب بيضاً
وحذاء أبيض

عندما يأتي الصباح ناعماً
كشفاه عذراء بيضاء
سأسرح من جدائل الغبار
شعري الأشيب الطويل
سأسرح بياض لحيّتي

عندما يأتي الصباح ناعماً
كوطن حنون
سأمتطي مهرة من بياضٍ ودخان
سأضع قلقي الأبيض
على كتفي الأبيض

وسأخرج :

نعم

سأخرج:

لأستقبل البحر

فتاتي:

عيناك غرابٌ يتوسّط عقد طيور
عيناى فضاء نفايات
تسافر فيها خفافيش اليباب

V

سائب أنا مثل لبوة طال حملها
ألحق ماء الحنظل من بين الشقوق
أقتات الأشعار البرية
ازدرد اللازورد
أنام بين القبور

أقاسم الأموات أحلاماً من جليد
ملتفأ بكرامات الصعاليك
أبحث عن صواعق ثكلى اختفت
بين الرمال وأوراق الصفصاف
ناي أنا

في قم عفريت

بالرماد مكلل غنائى

أجهش به لأترابي الأشباح / الرعاة

فيما سيد الخريف

يقود الحضارة إلى متحف الديناصورات

شبح هائم

بالأسيد تفيض أحشائى

أنا لست سوى طيف من ماسٍ وغبارٍ أرصفة

عندما تغفو المدن

أواصل صحوتي

غفوتي أطرد لها

لتصحو

وإن ماتت تبقى عيونى

* شاعر فلسطينى يقيم في رام الله.

زولاني مكيفا (Zolani Mkiva):
أنا لقاح الحلول الأنيسة

ترجمة وتقديم: محمد حلمي الريشة*

زولاني مكيفا، الشاعر الممتلئ بثقافة جنوب أفريقيا، اكتسب شهرته بصفته شاعرٍ ومغنيٍ مديحٍ للزعيم الإفريقي نلسون مانديلا، حيث سجّل (مكيفا) أول قرص مضغوط (CD) له، يحتوي أشعاراً بخلفية موسيقية في العام 1997، كتقدير رمزي «لأب» الأمة (نلسون روليهاهلا مانديلا). القرص الذي احتوى على أشعار بلغات متعدّدة، تجاوز التوقعات عندما بيع منه أكثر من 20000 وحدة.

أن تكون شاعرٍ ومغنيٍ مديحٍ، كما يشرح (مكيفا)، ليس شيئاً يمكن التدرّب عليه، إنّه ظاهرة طبيعية مورثة؛ «أنا جئت من خطّ طويل من الخطباء. خلال الحرب العالمية الثانية، كان جدّي لأبي (راشيا باوزن مكيفا)، الذي عمره الآن 94 عاماً، الوحيد الحيّ الذي أدام الحياة لـ(مكيفا العظيم). سلالة عائلة أبي مجدولة بالخطباء وبمغنيي المديح، بما فيهم أبي وعمّي». ومثل شاب ينمو في (بلوتوا) قرب (آدونيوا)، كان (زولاني) واحداً من مجموعة الأبناء الذي يرعون قطعان آبائهم، حيث كان شائعاً لديهم الغناء للقطيع من خلال الابتهاال باسم العشيرة. هكذا ميّز نفسه بخطابه الذي سيكون مزخرفاً غير منقطع، ويكشف مجموعة الأبناء الآخرين.

جاء الشاعر إلى فلسطين، مع بداية اندلاع انتفاضة الأقصى، ضمن وفد جنوب أفريقيا للتضامن مع الشعب الفلسطيني، وكان ذلك مناسبة ليدعو «بيت الشعر» الشاعر الجنوب أفريقي للاحتفاء به واطلاعه على الثقافة الفلسطينية، وكذلك التعرف على المشهد الشعري والثقافي في جنوب أفريقيا.

خص الشاعر زولاني «بيت الشعر» بهاتين القصيدتين اللتين نشرهما.

في هاتين القصيدتين تتضح ملياً المنطقة الرعوية، والبساطة العميقة للمفردات وللصياغة اللتين تميّزان المشهد الشعري الإفريقي.

ابن التربة

أنا تُويحُ تأييدِ النَّاسِ
أنا عُبارُ طَلَعِ الازدهارِ
أنا لِقاحُ الحُلُولِ الأنيسةِ

أنا ساقُ مُجتمِعنا
ابن التربة.

رب بارك أفريقيا

وُلِدَ طِفْلٌ ذاتَ يومٍ بَعِيدِ

منبوذاً ورُبِّيَ بأسلوبٍ غيرِ صحيحِ
مَتَّصِعاً وذا طَبِيعَةِ سَيِّئَةٍ

اليومَ وُلِدَ الطِّفْلُ ثانياً
اليومَ هو نَهْضَةُ أفريقيا

جاهزٌ ليخرجَ بِشهادةِ ميلادٍ جَدِيدَةٍ
لكنَ محلولِ العُسلِ لِلحِركةِ لَهُ خُرُوجُ سَيِّءِ

إعادةُ الإِشترَاقِيةِ وبعثُ الشُّروقِ هما اسمُ
اللُّعبةِ

عادةُ شَخْصِيَّةِ طَيِّبَةٍ وِبدائيَّةِ حَسَنَةٍ هما قُوَّةُ إعادةِ
الهندسةِ الجَدِيدَةِ

مُعتَقَداتٌ جَيِّدَةٌ تَحْمِلُ ثَمَراً جَيِّدَةً
مُعتَقَداتٌ سَيِّئَةٌ تَحْمِلُ ثَمَراً سَيِّئَةً
والشخص، هو أن هي، بُسْطانِيَّتُها الحَاصِ

لا أملكُ شِفاهاً مُعَطَّرَةً
لكنني أقولُ الحَقِيقَةَ

لا أملكُ عُيونَ هِرَّةِ
لكنني أَسْتَطِيعُ أن أرى ألوانَ الكَوْنِ الحَقِيقَةَ

لا أملكُ أذانَ حِمَارِ
لكنني أَسْتَطِيعُ أن أَسْمَعُ ما يَصْنَعُ الإِحساسُ وما

هو الأذى

لا أملكُ أنفَ كَلبِ
لكنني أَسْتَطِيعُ أن أَسْمَعُ وأن أُمَيِّزَ بَينَ أولِ أو كَسيدِ
الكربونِ والأكسجينِ

لا أملكُ قَلباً كَبِيراً
لكنني أملكُ عَاطِفَةً لِلحُبِّ وَأُحِبُّ النَّاسَ

لا أملكُ أيادي ناعمةً
لكنني أَسْتَطِيعُ إنقاذَ شَعبِي مِنَ العارِ

أنا ابنُ التُّربةِ
أشبهُ بَناتِ الأرضِ

أنا خيطُ الحُرِّيَّةِ
أنا مَدَقَّةُ السَّلَامِ
أنا كأسُ زَهْرَةِ الوَعِيِّ

دَعُونَا نُكُونُ مُفَكِّرِي مُعْتَقَدَاتِ عَظِيمَةٍ
دَعُونَا نُكُونُ صَانِعِي أَعْمَالِ عَظِيمَةٍ

الذَّجَاحُ لَمْ يُقَدِّمَ حَتَّى الْآنَ
إِلَى النَّاسِ كَهْدِيَّةً
لَكِنَّهُ اسْتَحْقَاقٌ كَمُكَافَاةٍ لِلشَّجَاعَةِ
مِنْ خِلَالِ عَمَلٍ صَعَبٍ يَفُوقُ الْحَدَّ

دَعِ الْقِيَادَةَ تَرْتَفِعُ فَوْقَ النَّفَاهَةِ
دَعِ أَفْرِيْقِيَا تُبَارِكُ بِأَمَلٍ جَدِيدٍ

دَعِ أَفْرِيْقِيَا تَحْتَقِرُ الذِّكْنَآتُورِيَّةَ
دَعِ أَفْرِيْقِيَا تُدْمُ الْفَسَادَ

رَبِّ بَارِكْ أُمَّ الْقَارَةَ
دَعِ أَفْرِيْقِيَا تَكُونُ قَارَةَ الْمُسْتَقْبَلِ

دَعْنَا نُخْبِرُ كُلَّ الْعَالَمِ مِنْ أَجْلِ دَعْمِ الْبِدَايَةِ الْجَدِيدَةِ
دَعْنَا نَكُونُ أَنْصَارَ نَهْضَةِ أَفْرِيْقِيَا

أفريقيَا Maluju
أفريقيَا Harambe
أفريقيَا Uhuru (1)

تِلْكَ لِي أَوْدِيْهَا مِنْ أَجْلِ مُعَامِلَتِكَ.

* شاعر فلسطيني يقيم في نابلس.

(1) مفردات من اللهجة المحلية.

7. مرّ ما يلزم من الوقت:
صار صديق صباحاً أباً وجداً

8. مرّ ما يلزم من الوقت:
لتستبدل مقهاك القديم (للمرة العاشرة)
حلاّقك (للمرة السابعة)
علبة سجائرّك (للمرة الخامسة)
صحيفتك (...):
مرّ ما يكفي من الوقت
لتسأل نفسك: كم تبقى لك من وقت؟

9. لماذا السماء زرقاء يا حبيبي؟
لأن البحر أزرق يا حبيبي
لماذا البحر والسماء أزرقان يا حبيبي؟
لأن الهواء أزرق يا حبيبي!
يخلع الهواء كفته الأسود
يخلع ثوب عرسه الأبيض
يرتمي بين أحضان الماء والسماء:
تكون السماء زرقاء يا حبيبي
يكون البحر أزرق يا حبيبي

10. لصباحات الخريف ضوء طويل
أفق من حليب شرقاً
أفق غربي يدخل طقس الرضاعة
ثدي. أفق. تلال. قطيع. أطفال
جبهة للصباح من ثدي الشمس إلى قطيع التلال:
طقس للقيام من السجود
.. وعوداً أتلو آيتي:
قهوة ماء .. ودخان .

خواء

حسن البطل*

1. ثقيلاً نهض الصباح من سرير الليل.
متعباً، مثل عتال كهل نقل المدينة ... في الحريق.

2. بين دفتين سميكتين
ذبل الزمان في كتاب الصخر

3. عندما كنتُ ثورياً
ركضتُ وراء كل ريح
بجيوب مثقوبة ... حشوتها بنصائح أُمي

4. يهرب اليقين من تلايبب الشك
هكذا الأرض تدور

5. شيء يتكسر بصمت:

أن تهتم بما لا يهمك
شيء ينهار في الخفاء:
أن لا تهتم بما يهمك

6. عندما قال لي: «أعرفك»

باغتني من زاوية ما
.. زاوية منفرجة تنزلق إلى الفراغ!

* كاتب وصحافي فلسطيني يقيم في رام الله.

صقن تحت اللوح نمشي
نرفغ الآن القتيلا .

مثل قنديل وددنا في السما تعليقه، بدرأ وأحلى
نظر الناس إليه
قدنا ثم تدلى
صار نقشاً في أفارين الجوامع
بالذي سطره الأمي حين الله أملى
نرفع الجثمان أعلى
عله يدخل في أزرقها
ثم يغدو خلطة الحناء في مفرقها
حنة الرياح إلى أوطانها
وحياء الشمس من مشرقها .

عبناً!
ويظل الجسم جسماً فوق أكتاف المحبين ثقيلاً
لن يكون القبر إلا حفرة، طيناً وماءً
نضع الميت والأكفان والأعلام فيها
ثم نمضي
قد تركنا ثم في القبر السماء .

ثم لا نياس أن تقبل منا ولدأ ما في غد أو بعد غد
كل يوم نرفع النعش إلى الأعلى
وتمتد الأيادي لمداها
فترد
ويشب الناس شباً فوق أطراف الأصابع

قبلي ما بين عينينا
اعتذاراً يا سماء

تميم البرغوثي*

قبلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماء
قد حملنا منك ما لا يحتمل
إن من أثقل ما يحمله المرء الهواء
حين يحوي كل ما تحوينه
أنت لوح حجري كُنبت فيه وصايا الميتين
كاد يمحي ما عليه من جمل
من توالي البرق والرعد على مر السنين
لم تدغ إلا سطوراً معجمات كخطوط في جبين
أنت لوح حجري من بهاء
أنت لوح حجري من حنين
يخضع الأعناق ما بين كتوف الحاملين .

كلنا يحمله

وهو لا يحملنا إلا قليلاً

كلنا يحمله

صقن تحت اللوح نمشي

نمنع الميزان منه أن يميلا

كلنا يحمله

عَلَّهَا تَبَصَّرَهُ
 عَلَّهَا إِن نَسِيَتْ تَذَكَّرَهُ
 عَيْثَا تَذَكَّرَهُ
 وَالْعَلَامَاتِ عَلَيْهِ كُلِّهَا
 أَبْيَضُهُ أَسْوَدُهُ أَحْمَرُهُ وَأَخْضَرُهُ
 وَالْحَطَّةَ الرَّقِطَاءِ حَوْلَ الْوَجْهِ لَا تَسْتَرُهُ
 كَيْفَ لَا تَعْرِفُهُ، مَاذَا دَهَاهَا .
 اسْمَعِي يَا هَذِهِ الزَّرْقَاءُ يَا بَيْتَ الْقَضَاءِ
 هُنَاكَ خَيْرِنَاكَ هَاكَ
 اِرْفَعِيهِ الْآنَ عَلَى أَكْتَاْفِنَا
 ثُمَّ اِرْفَعِينَا لِعُلَاكِ
 أَوْ فَاِنَا
 نَضِعِ الْاِكْفَانَ فِي الْقَبْرِ وَنَمْضِي
 قَدْ تَرَكْنَاكَ هُنَاكَ
 وَنُصِيحِينَ بِنَا أَنْ أَدْرِكُونِي
 أَخْرَجُونِي
 نَظْرَةً ثُمَّ التَّفَاتِ
 ثُمَّ لَا نَنْظُرُ أُخْرَى لِلوَرَاءِ
 قَبْلِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْنَا اعْتَذَاراً يَا سَمَاءَ .
 يَا سَمَاءَ
 نَحْنُ لَمْ نَطْلُبْ بَطُولَاتٍ وَلَا نَطْلُبُهَا
 لَا تَرْفَعِي التَّابُوتَ عَنَّا أَكْتَاْفِنَا حَتَّى يُمَجِّدَ
 اِرْفَعِي التَّابُوتَ عَنَّا أَكْتَاْفِنَا حَتَّى تُرِيحِينَا مِنَ الْحَمْلِ قَلِيلًا
 إِنْنَا نَحْمَلُهُ مَعَ غَيْرِهِ مِنْ سَابِقِيهِ
 فِي بَرُوجٍ مِنْ تَوَابِيْتٍ تَعَالَتْ
 كَعَوَامِيدٍ لِسُقْفٍ لَيْسَ يُعْقَدُ
 كُلُّ مَذْبُوحٍ عَلَى ظَهْرِ أَخِيهِ
 فَوْقَ أَكْتَاْفِ رِجَالٍ لَا يَمْلُونُ الْمَسِيرَ
 كُلُّ مَذْبُوحٍ عَلَى الْاِكْتَاْفِ يُدْنِي مِنْ سَيِّئِلُوهُ
 إِلَى سُقْفِ السَّمَاوَاتِ لِيَصْعَدَ
 كُلُّ تَابُوتٍ تَمْنَى أَنَّهُ قَبْلَ الْاِخْيَرِ
 كُلُّ تَابُوتٍ تَمْنَى
 لَا وَأَنْتِي
 أَيُّ غَبْنٍ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ مَيْتًا
 وَهُوَ حَيٌّ الْاِشْتِهَاءِ
 قَبْلِي مَا بَيْنَ عَيْنَيْنَا اعْتَذَاراً يَا سَمَاءَ .
 يَا سَمَاءَ
 مَا الْبَطُولَةُ؟
 حَفْرَةٌ تَحْتَ عِلَامَةٍ؟
 لَا تُرِيدُ الْمَجْدَ خَلْفَ الْمَوْتِ حَتَّى لَا وَلا الْمَجْدَ أَمَامَهُ
 نَحْنُ لَسْنَا أَوْلِيَاءِ
 مَا كِرَامَاتُ أَرْضِنَا بِلِ كِرَامَةٍ
 هَا سَبِيلُ اللَّهِ نَدْرِيهِ
 فَهَلْ تَمَّ سَبِيلٌ لِلْكَهُولَةِ؟
 يَا سَمَاءَ
 لَمْ نَكُنْ نَدْعُو لِدِينٍ أَوْ إِمَامَةٍ
 أَوْ كِتَابٍ يَزْعَجُ الْكُهَانَ يَوْمَ السَّبْتِ
 لَمْ نَطْرُدْ مِنَ الْهَيْكَلِ تَجَارَ الْقَضِيَّةِ
 نَحْنُ لَسْنَا مُسَحَّاءُ

نحن كنا ليلة الصَّلْبِ ندقُّ الكفَّ فوق الكفِّ
ما زدنا على ذلك شيئاً
نحن من صاح عليه الديك ألفاً
لم نقل للروم حرفاً
وبكينا في مسيحِ الله إلفاً
لا نبياً .

غير أنا
في بطون الأُسْدِ بتنا
لم نحد عن دينه حين امثحنا
وعرفنا دقة المسمار في الكفين مثله
ثم لا نطلب أن يأتي إلينا ملكٌ
يخرجنا من ظلمة القبر بهالاتِ الضياء
بين نجم وغمامة
قد عرفنا قبل هذا
أن فُرزنا
نحن للصلبِ وأنتم للقيامة .

لم نُؤلِّه
لم يُسجَلِ في الأناجيل اسم أبله
مات منا
حاملاً في صدره أيقونة
وجه ابن نجارٍ وديعِ صانها تحت الرداءِ
وهو لا يطلب أن يُذكر أصلاً
مات فالأمر سواءً
قُبلي ما بين عينينا اعتذاراً يا سماء .

يا سماءُ
أبلغني في ليلة الإسراءِ مَنْ بالمسجد الأقصى يصلِّي
من نبيٍّ أو أمام
اسمعوا يا من عليهم صلوات الله سربٌ من حمام
وآذانٌ في الأعالي يتردّدُ
بينكم مَنْ كَلَّمَ الله جهاراً
والذي لم يَصِلْ ناراً
والذي عن أمره عمّرتِ الجنانُ داراً
والذي يحيى مدى الدهر سِراراً
حاضراً أو غائباً يبدو ويستخفي مراراً
والذي قد اتعبَ الناس انتظاراً
ليلة المعراج في المحراب من خلف محمد
إسمعوا منّا الكلامُ:
أعذرونا لو دَخَلنا في صفوفِ الخاشعينِ
بالتوابيت وبالاعلامِ قَوْضَى!
نحن لسنا أولياءً أو عباداً صالحين
غير أنا لم نجئكم مُدَّعين
كي ننال المجد إذ نشرِكم هذا المقام
نحن جننا مجبرين
أعذرونا
قد بلينا
بتمادي مُشركينا
في الغباءِ
فاضطراراً يصبح المرء نبياً
لعنة الله عليهم جعلونا أنبياء!

في الطَّرِيقِ إِلَيْكَ لِاقَانِي الْعُؤْلُ؛

فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقَلَّمْتُ أَظْفِرَهُ وَحَلَقْتُ شَعْرَهُ.

قال: «لولا سَلامُكَ، لَأَسْمَعْتَ الجبالَ صَفيرَ عِظامِكُ،

عَمَّ تُفْتَشُ في وادي الغيلان؟»

– عن التي شَعَرُها ذهبٌ وريحها مسكٌ والتي تَمْشي مثل
غيمة!

قال: أَكَلْتُها، مكانها يَنْبُتُ الورْدُ، ما مِنْ فَتىٍ مرَّ هُنا حتى مات..

العُؤْلُ هو النسيان، وقد أَكَلَ الأولى.

الثانية: كالعسلِ البري، كي أَتذوقهُ يلدَغُني النحلُ.

قالت حين أَبتلعها المَطَّارُ: «لا، أنا لستُ لستُ لكُ.

أنا لكُ.

أنا لستُ لكُ.»

في اللَّيلِ تلبسُ الدُّنيا عِثْمَ قلبي.

في النهارِ تلبسُ الدُّنيا عِثْمَ قلبي.

تَرَكْتُ على المرآةِ أحمرَ الشفاهِ وَعَلَّقْتُني أَرْجوحةً بينَ

المسافاتِ.

انكسرَ الرَّجَاجُ والشظايا كلامٌ وداعٌ في دَمي.

الثالثة: أخافُ قُبَلتِها الأخيرة، صديقتي التي ستأخذها

المحطَّاتُ إلى أمكنةٍ بعيدةٍ مسكونةٍ بالجنِّ ..

تَطويني، تُرتبني في حقائبها وتقول:

«نراك أو لا نراك»

وقد لا نراك.»

(3) ثلاثة رجال

فم بالكاد ينفتح

زياد أبو الرب*

(1) هاجسان

I

في بَعْدانَ تطيرُ الحماماتُ من بيوتِ قديمةٍ إلى سَماءِ حديديةٍ.

في أوزكُ تُولدُ الأساطيرُ أجنحةً للمسافرين في السَرابِ،

وبينَ دجلةٍ والفراتِ، ما زالوا يعرفونَ الحُبَّ

وينحتونَ أيامهم المُتَشابهةَ تَماتِيلاً لأثينا،

علَّها تَمُدُّ إليهم ثُرْسَها.

II

في القدس يموت السنونو المنزلي بسيف الغزاة،

ويطيرُ الحَمَامُ الرَّجُلُ من قُرَى تكسرت أحلامها إلى سِياحِ

حدودي،

فتنتحرُ الرِّسائِلُ.

(2) ثلاث نساء

الأولى: كالوردِ الجوريِّ تخدُشُني أشواكهُ كي أقطِفَ

منهُ .

هذا الربيع مُختلفٌ، تنامين في جسدي فراشةً في وردة،

الأول: لا اسمَ له، واجهة عمياء لا تطلُّ على شيءٍ
ولا تُشرقُ شمسٌ عليها.
الثاني: لوحةٌ لوجهه،
شعرُهُ الأبيضُ،
صداعُهُ النصفِيُّ،
يدَاهُ على الجبهة التي فيها ثلاثة خطوطٍ أفقية،
عيناهُ الغائرَتانِ في العتمِ،
يعتليهما خطانِ أسودانِ، إضاءةٌ أكثرُ فوقَ الوجهِ،
أنفٌ أفتسُّ وشاربٌ خفيفٌ،
فمٌ بالكادِ ينفتحُ،
ذقنٌ غمرَةٌ أسبوعٌ،
شامةٌ على حدهِ الأيمنِ،
جرخٌ على حدهِ الأيسرِ،
حنطةٌ ومواسمٌ لُونٌ وجهه
ويداهُ مغولانٌ.
الثالثُ:

أكلَ الطيرُ من رأسه، ولمَّ يُحدِّثُ أحدٌ.
سحبةُ النملِ إلى بطنِ أمه ثانيةٌ ولم يُحدِّثُ أحدٌ.
دلَّتْهُ الملائكةُ على السِّراطِ المستقيمِ ولم ينتبه.
دلَّته الجنُّ على مُلكِ سُلَيْمانَ ولم ينتبه.
أحبتْهُ امرأةٌ، حدَّثتْ كُلَّ الناسِ.

* شاعر فلسطيني يقيم في هولندا .